نهج البلاغة وأثره في الشعر العربي

الدكتور علي رضا ميرزامحمد
معهد العلوم الإنسانيّة والدراسات الثقافيّة

إنّ الحديث عن الإمام علي (ع) حديث عن الإيمان والإخلاص، وحديث عن المحبّة والإيثار، وحديث عن الشجاعة والإقدام، وحديث عن القيم الأخلاقية، وحديث عن الحكمة المتعالية، وحديث عن الحقيقة المجسّدة، وحديث عن القرآن الناطق الذي مهما حاول الإنسان أن يحيط بجميع صفاته قعد به العجز واستولى عليه البهر، فكان كما قال النبيّ (ص): «لو أنّ الرياض أقلام والبحر مداد والجنّ حسّاب والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب (ع)»[1].

صِفاتُ عليٍّ لا يحيطُ بها الحصرُ وفي عَدِّها تُفنى الدفاترُ والحِبْرُ[2]

فإذا نظرنا إلى صفاته الجميلة ومحاسنه الحميدة ومناقبه الفاخرة وجدناه أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً. وأفضل الناس علماً وحلماً، وأصوب الناس رأياً وأحسنهم تدبيراً، وأسخى من السحاب الهاطل. ذلك العبقري الفذّ الذي كان أوّل المؤمنين إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله. وأرأفهم بالرعية، وأقسمهم بالسوية، وأعلمهم بالقضية، وأعظمهم مزية يوم القيامة[3]. وهو الصديق الأكبر، وسابق الأمة، وسيّد الزهّاد، وخير البشر، وأخو الرسول، وباب مدينة العلم، وصاحب الأذن الواعية، ووارث الحكمة، وهادي القوم، ومولى الموحدين، وباذل الأموال سرّاً وعلانية، والخشن في ذات الله

وبناءً على ما جاء في الروايات، نزل في عليّ عليه السّلام ثلاثمائة آية [illegible]

التطهير والمودّة والمباهلة والتبليغ والإكمال وسورة الإنسان، كما وردت في شأنه أحاديث القلين والسفينة والمؤاخاة والراية والولاية والمنزلة والأخبار التي تدل على أنّ علياً كان وليّ الله ووصيّ النبيّ وخليفته ووارثه ووزيره ونفسه وقاضي دينه ورفيقه في الجنّة وحامل لواء الحمد يوم القيامة وسيد المسلمين وأميرالمؤمنين وإمام المتّقين وقائد الغُرّ المحجلين وفاروق الأمة ويعسوب الدين وصاحب الحوض وساقيه وقسيم الجنّة والنّار.

وجدير بالذكر أنّ الإمام الحقّ قد وصف في كثير من المرويّات بأنه مع الحقّ والقرآن وأنهما معه، وهو بمنزلة الكعبة، والنظر إليه عبادة؛ من أحبّه فقد أحبّ الله ومن أبغضه فقد أبغض الله؛ حبّه إيمان وبغضه نفاق؛ لحمه لحم النبيّ ومه دم النبيّ؛ صاحب النجوى وصالح المؤمنين؛ لم يسبقه الأوّلون بعلم ولا يدركه الآخرون، ويزهر في الجنة ككوكب الصبح.

استحق عليّ هذه المنزلة من الله والرسول لعمله لا لقرابته من خاتم النبيّين فقط، فكما أنّ رسول الله عظيم، لأنه على خلق عظيم لا بأقربائه، كذلك عليّ عظيم بإيمانه وإخلاصه وإيثاره وجهاده وحسن بلائه مع النبيّ.

وكما هو معروف لقد كان للإمام عليّ (ع) أثر طريف قيّم يتضمّن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة ويشتمل على الترغيب والتنفير والإلهيات والولائيات والحقوق وأصول المدنية وقواعد العدالة والسياسات والجدليات والنصائح والأخلاق، قد جمع الشريف الرضي موادّه الأدبية البديعة الرائعة بالرجوع إلى الجوامع الروائية والمصادر التاريخية وسمّاه نهج البلاغة.

إنّ هذا الكتاب مجموعة من الخطب والأوامر، والكتب والرسائل، والحكم والمواعظ التي قالها إمام الفصحاء وسيد البلغاء مولانا أميرالمؤمنين (ع) تبعاً للظروف والمناسبات، فمنها ما كان أجوبة عن أسئلة، ومنها مباحث في خلق الموجودات، ومنها في صفة الدنيا والآخرة، ومنها في عظمة الإسلام والقرآن والسنّة النبويّة والعترة، ومنها في ذكر العبادات والمعاملات، ومنها خطاب لأهل العراق والشام، ومنها وصايا لأرحامه وأصحابه وعشيرته وعمّاله، ومنها كلمات في الحياة الحرّة الكريمة، ومنها في بيان أصول العقائد والأخلاق، ومنها في أهمية القضايا التاريخية والسياسية، ومنها في وصف الجنة والنار، ونفثة

مصدور إلى غير ذلك.

نعم، إنّ كلّ كلمة من كلمات نهج البلاغة تعكس بوضوح روح الإمام وفكره وعلمه وأخلاقه وفضائله وعظمته في دينه وجميع صفات الجلال والكمال ومحمود الشمائل والخلال، ومن الطريف أنّ في هذا الكتاب تعابير علمية خاصة كمصطلحات كلامية ومفاهيم فلسفية، مع أنّ الفلسفة لم تكن معروفة عند المسلمين في صدر الإسلام وعهد الإمام.

وبما أنّ النهج يحتوي على جواهر الكلم الدينية والدنيوية التي كانت مستفاضة من الصقع الربوبي ومستفادة من الحضرة المحمديّة، فهو فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، ولذلك سُمّي بأخي القرآن وثاني الفرقان.

ومن الواضح أنّ هذا الكتاب الكامل في فنّه بما فيه من المعاني الطريفة والمقاصد الشريفة والتلويحات اللطيفة والفوائد الجليلة والمواعظ الزهدية والحكم النفسية والآداب الخلقية والأخبار الغيبية وغيرها ممّا يكون خارجاً عن وسع الطبيعة البشرية، يمهّد السبيل للبحث حول تأثير ثواقب الكلم العلوية في الأدب العربي وخاصة الشعر، كما أنّ كثيراً من الأدباء والشعراء على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم لا يختلفون في أنّ الإمام عليّاً (ع) باب مدينة علم الرّسول وخازن معارفه وأعلم الأمة من بعده ومدخل دار حكمته، وليس فيهم من يستنكف أن يأخذ عنه ويرجع إليه. ولذلك نراهم يخوضون في هذا القاموس العظيم ويدّعون شرف الإنتماء إليه والإنتساب له ويفخرون بأخذهم عنه وحفظهم لكلامه علماً بأنّ هذا الإنتماء والأخذ لم ينقص من أقدارهم ولم يجردهم من فضائلهم، بل زادهم فضلاً وقدراً، وازدادوا به فخراً وشرفاً:

نهجُ البلاغةِ مشرعُ الفُصَحاءِ ... ومعششُ البلغاءِ والعلماءِ
روضٌ مِنَ الحكمِ الأنيقةِ جادَهُ ... جودٌ مِنَ الأنوارِ لا الأنواءِ
أنوارُ علمِ خليفةِ اللهِ الّذي ... هو عصمةُ الأمواتِ والأحياءِ
مشكاةُ نورِ اللهِ خازنُ علمِهِ ... مختارُهُ مِن سرّةَ البطحاءِ
وهو ابنُ بجدتِهِ عليهِ تهدَّلَتْ ... أغصانُهُ من جملةِ الأمراءِ
ووصيُّ خيرِ الأنبياءِ اختارَهُ ... رغماً لِتيمَ أرذلِ الأعداءِ

صلّى الإلهُ عليهما ما ينطوي بردُ الظلامِ بنشرِ كفٍّ ضياءِ[٥]

استمراراً في البحث نتطرق الآن إلى الحديث عن هذا التأثير بشكل نموذجي واضح كما يلي:

١ ـ أتباعُ كلّ ناعقٍ يميلون مع كلّ ريحٍ. (نهج البلاغة ٤٩٦ / ح ١٤٧)

وقد قيل في هذا المعنى:

إنْ مالتِ الرّيحُ هكذا وكذا مالَ معَ الرّيحِ حيثُما مالَت

(التمثيل والمحاضرة ٢٤٢)

٢ ـ أحبب حبيبك هوناً ما، عَسَى أن يكونَ بغيضَكَ يوماً ما، وأبغض بغيضَكَ هوناً ما، عسىٰ أن يكونَ حبيبَكَ يوماً ما. (نهج البلاغة ٥٢٢ / ح ٢٦٨)

قد اقتبس إبراهيم بن السيد علي الأحدب الطرابلسيّ من هذه الحكمة فقال:

أحببْ حبيباً لكَ هوناً ما ولا تجاوزنَ حدّاً وهكذا القلىٰ

أبغضْ بغيظَكَ الشقيّ هوناً ما إن لم يكن شقاؤهُ قَدْ عمّا

(فرائد اللآل ١ / ١٧٥، ٨٨)

ومن جيد ما قيل في هذا المعنى قول بعضهم:

وأحببْ إذا أحببتَ حُبّاً مقارباً فإنَّكَ لا تدري متى أنت نازعُ

وأبغضْ إذا أبغضتَ غيرَ مباينٍ فإنَّكَ لا تدري متى أنت راجعُ

(شرح نهج البلاغة ١٩ / ١٥٦)

كما قال النمر بن تولب:

وأحببْ حبيبكَ حُبّاً رُويداً فليسَ يَعُولك أنْ تصرما

وأبغضْ بِغَيْظِكَ بغضاً رُوَيداً إذا أنتَ حاوَلْتَ أن تَحْكُما

(موسوعة أمثال العرب ٢ / ١٢٠)

وخلاصة هذه الكلمة: النهي عن الإسراف في المودة والبغض، فربّما انقلب من تودّ فصار عدوّاً، وربّما انقلب من تعاديه فصار صديقاً.[٦] وبعبارة أخرى: لا تكن مكثراً ثمّ

تكون مقلاً، فيعرف سرفك في الإكثار وجفاؤك في الإقلال.[٧]

٣ـ احذروا نفار النعم فما كلّ شارد بمردود. (نهج البلاغة ٥١١ / ح ٢٤٦)

هذا أمر بالشكر على النعمة وترك المعاصي، فإنّ المعاصي تزيل النعم كما قيل:

إذا كُـنْتَ في نـعمةٍ فـارْعِها ... فـإنَّ المـعاصي تُـزيلُ النِّـعم

(شرح نهج البلاغة ١٩ / ٨٠)

٤ـ إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه. (نهج البلاغة، ٤٧٠ / ج ١١)

أخذ ابن أبي الحديد هذا المعنى فقال في قطعة له:

إنَّ الأمـاني أكسابُ الجَـهولِ فَـلا ... تَقْنَعْ بهـا وارْكَبِ الأَهـوالَ والخَـطَرا

وَاجْعَلْ مِنَ العَقْلِ جَهلاً واطّرح نَـظَراً ... في المـوبِقاتِ ولا تَسْـتَشْعِرُ الحَـذَرا

وإنْ قَدَرْتَ عـلى الأَعْـداءِ مُـنْتَصِراً ... فاشْكُرْ بِعَفْوِكَ عَـنْ أَعْـدائِكَ الظَّـفَرا

(شـرح نـهج البـلاغة ١٨ / ١٠٩)

٥ـ إذا هِبْتَ أمراً فقع فيه، فإنّ شدّة توقّيه أعظم ممّا تخاف منه. (نـهج البـلاغة ٥٠١ / ح ١٧٥)

ما أحسن ما قاله المتنبي في هذا المعنى:

وإذا لَمْ يَكُـنْ مِـنَ المَـوْتِ بُـدٌّ ... فَمِـنَ العَـجْزِ أَنْ تكـونَ جَـبانا

كلُّ ما لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ في الأَنْـ ... ـفُسِ سَهْـل فِـيها إذا هـوَ كَـانا

(ديـوان المـتنبي ٤ / ٣٧٢)

يقول: إنّما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه، فإذا وقع سهل وهان، كما قال البحتري:

لَعَمْرِكَ ما المكروهُ إلّا ارْتِقابه ... وَأبرَح ممّا حـلّ مـا يَـتَوقَّعُ[٨]

(نفس المصدر)

٦ـ أزجر المسيء بثوابِ المحسنِ. (نهج البلاغة ٥٠١ / ح ١٧٧)

من أجودِ ما قيلَ في هذا المعنى قول أبي العتاهية:

إذا جازَيْتَ بالإحْسانِ قوماً زَجَرْتَ المذنبينَ عَنِ الذُّنوبِ
(شرح نهج البلاغة ١٨ / ٤١٠)

٧ ـ ألا وإنّ من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحّة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب. (نفس المصدر ١٩ / ٣٣٧)

قال أحمد بن يوسف الكاتب في هذا المعنى:

المالُ للمرءِ في مَعيشَتِهِ خيرٌ مِنَ الوالدين والوَلَدِ
وَإِنْ تَدُمْ نعمةٌ عليكَ تَجِدْ خيراً من المالِ صحّةَ الجَسَدِ
وَما بِمَنْ نالَ فَضْلَ عافِيَةٍ وَقُوتَ يَوْم فَقْرٌ إلى أَحَدِ
(نفس المصدر)

٨ ـ أما إنّه ليس بين الحقّ والباطل إلّا أربع أصابع. [فسئل عليه السّلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثمّ قال:] الباطل أن تقول سمعت، والحقّ أن تقول رأيت. (نهج البلاغة ١٩٨ / ح ١٤١)

من هذا الباب قول أبي الطيب المتنبّي:

خُذْ ما تَراهُ وَدَعْ شيئاً سَمِعْتَ بِهِ في طَلْعَةِ الشَّمسِ ما يُغنيكَ عَن زُحَلِ[٩]
(ديوان المتنبي ٣ / ٢٠٥)

٩ ـ إنّ أهل الدنيا كركب بيناهم حلّوا إذا صاح بهم سائقهم فارتحلوا. (نهج البلاغة ٥٤٨ / ح ٤١٥)

مما يناسب كلام الإمام علي (ع) قول أبي العتاهية:

إنَّ داراً نَحْنُ فِيْها لَدَارُ لَيْسَ فِيْها لِمُقِيْمٍ قَرارُ
كَمْ وَكَمْ قَدْ حَلَّها مِنَ أُناسٍ ذَهَبَ اللّيلُ بِهِمْ والنَّهارُ
فَهُمُ الرَّكْبُ أصابُوا مَناخاً فاستَراحوا ساعَةً ثُمَّ سارُوا
وكذا الدُّنيا على ما رَأَيْنا يَذْهَبُ النَّاسُ وَتَخْلوا الدِّيارُ
(شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٥٣)

١٠ ـ إنْ صبرتَ صَبْرَ الأكارمِ، وإلّا سلوتَ سلوَّ البهائمِ. (نهج البلاغة ٥٤٨ / ح ٤١٤)
أخذ هذا المعنى أبو تمام، بل حكاه فقال:

وقال عليٌّ في التَّعازي لأَشْعَثٍ ... وخافَ عليهِ بعضَ تلكَ المآثمِ
أَتصبر للبلوىٰ عزاءً وحسبةً ... فتؤجر أم تَسلُو سُلُوَّ البهائمِ
(شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٥٠)

كما قال محمود الوراق:

إذا أنت لَمْ تسلِ اصطباراً وحسبةً ... سلوتَ على الأيامِ مثل البهائمِ
(ديوان المتنبي ١ / ١٨١)

ومثل هذا قول المتنبي:

وللواجِدِ المكروب مِنْ زَفَراتِهِ ... سكون عزاء أو سكون لغوب
(نفس المصدر)

١١ ـ إنَّ الصبرَ لجميلٌ إلّا عنك، وإنّ الجزعَ لقبيحٌ إلّا عليكَ، وإنَّ المصابَ بك لجليلٌ، وإنّه قبلك وبعدك لجلل.[١٠] (نهج البلاغة ٥٢٧ / ح ٢٩٢)
قد أخذ المتنبي هذا المعنى فقال:

أجدُ الجفاءَ على سواكَ مروءةً ... والصَّبْرَ إلّا في نَواك جميلا
(ديوان المتنبي ٣ / ٣٥٠)

ومن هذه الكلمة أيضاً قول بعض الشعراء:

أَمْسَتْ بجفني للدّموعِ كُلُومُ ... حُزناً عليك وفي الخدودِ رُسومُ
والصّبرُ يحمدُ في المواطنِ كلّها ... إلّا عَلَيْكَ فإنَّهُ مَذْمومُ
(شرح نهج البلاغة ١٩ / ١٩٥)

١٢ ـ أولى النّاس بالعفو أقدرهم على العقوبة. (نهج البلاغة ٤٧٨ / ح ٥٢)
مثل هذا قول الشاعر:

أعفُ عنّي فَقَدْ قدرتَ وخيرُ الـ ـعفوِ عفوٌ يكـونَ بـعدَ إقْـتِدارِ
(مـجمع الأمـثال ١ / ٢٤٣)

كما اقتبس الطرابلسي منه قائلاً:

أعفُ إذا قدرتَ يا ذا الصولةِ فإنَّ خيرَ العفوِ ما عَنْ قُـدْرَةِ
(فرائـد اللآل ١ / ١٩٩)

١٣ ـ إيّاك وما يعتذر منه. (نهج البلاغة ٤٠٧ / ك ٣٣)

قال الطرابلسي في هذا المعنى:

واحْذَرْ أمُوراً توجِبُ اعْتِذارا يُنْزِلُ ذُو القـدرِ بهـا مِـقْدارا
(فـرائـد اللآل ١ / ٣٨)

هذا مثل جاء في كتاب له عليه السّلام إلى قثم بن العباس وهـو عـامله عـلى مكّـة، ويضرب في النهي عن اقتراف الخطايا.

١٤ ـ إيّاك ومصادقة الأحمق فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك. (نهج البلاغة ٤٧٥ / ح ٣٨)

أخذ ابن أبي الحديد هذا المعنى فقال في أبيات له:

حياتُكَ لا تَـصْحَبَنَّ الجَـهُولَ فَلا خيرَ في صُـحْبَةِ الأَخْـرَقِ
يَظُنُّ أخـو الجَـهْلِ أنّ الضَّـلا لَ عـينُ الرَّشـادِ فَـلا يَـتَّقي
ويكسبُ صـاحبُهُ حُمْـقَهُ فـيسرقُ مِـنْهُ وَلا يـسرق
وأقْـسِمُ أنَّ العَـدُوَّ اللـبيـ ـبَ خيرٌ من المشفقِ الأحمقِ
(شرح نهج البلاغة ١٨ / ١٥٧)

١٥ ـ الجار قبل الدار. (نهج البلاغة ٤٠٥ / ك ٣١)

اقتبس الطرابلسي من هذا المثل فقال:

الجـارُ ثمّ الدارُ يـا خـليلي فاختَرْ تَكُنْ ذا سـؤدَدٍ أثـيلِ
(فرائـد اللآل ١ / ١٤٥)

وقد قيل في معناه: إذا أردت شراء دار فسل عن جوارها قبل شرائها.[١١] قال أبو تمام في هذا المعنى أيضاً:

مَنْ مبلغٌ أَفْناءَ يَعْرُب كُلّها أَنّي ابتنيتُ الجارَ قبلَ المنزلِ

(موسوعة أمثال العرب ٣ / ٤٨٢)

كما قال شاعر آخر:

يَلُومُونَني أَنْ بَعْتُ بالرخْصِ مَنْزِلي وَلَمْ يَعْلَمُوا جاراً هناكَ يُنَغِّصُ

فقلتُ لهُمْ: بعضُ الملامِ فإنَّما بجيرانِها تَغْلُو الدِّيارُ وتَرْخَصُ

(نفس المصدر)

١٦ ـ الحكمة ضالّة المؤمن. (نهج البلاغة ٤٨١ / ح ٨٠)

أخذ الطرابلسي هذا القول فقال:

الحِكْمَةُ الّتي أَضَلَّ المؤمنُ يأخُذُ حيثُ يَراها تُمْكَنُ

(فرائد اللآل ١ / ١٧٩)

١٧ ـ حنَّ قدح ليس منها. (نهج البلاغة ٣٨٦ / ك ٢٨)

هذا مثل يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم وليس منهم، أو يتمدّح بما لا يوجد فيه، ولقد اقتبس الطرابلسي منه قائلاً:

يَا مَنْ بِنَظْمِ الشّعرِ جاءَ يَفْتَخِر قَدْ حَنَّ قدحٌ لَيْسَ مِنْها فازْدَجِرْ

(فرائد اللآل ١ / ١٥٩)

١٨ ـ خالطوا النّاسَ مخالطةً إن متّم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنّوا إليكم. (نهج البلاغة ٤٧٠ / ح ١٠)

من جيّد ما قيل في هذا المعنى قول الشاعر:

يا ذا الّذي وَلَدَتْكَ أُمُّكَ باكِياً والنّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سروراً

إحْرِصْ على عَمَلٍ تكونَ به مَتَىْ يبكونَ حَوْلَكَ ضاحكاً مسروراً

(مجاني الأدب ٢ / ٤٣)

١٩ ـ الدّنيا خلقت لغيرها، ولم تخلق لنفسها. (نهج البلاغة ٥٥٧ / ح ٤٦٣)
قال أبو العلاء المعتري في هذا المعنى ما يطابق إرادة أميرالمؤمنين (ع) بلفظه هذا:

خُلِقَ النَّاسُ لَلْبَقاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُم للنَّفادِ
إنَّما يُنْقَلُونَ مِنْ دارِ أَعْمَا لٍ إلى دارِ شَقْوَةٍ أَوْ رَشادِ
(شرح نهج البلاغة ٢٠ / ١٨١)

٢٠ ـ رأيُ الشَّيخِ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ جَلَدِ الغُلام. (نهج البلاغة ٤٨٢ / ح ٨٦)
أخذ الطرابلسي هذا المعنى فقال:

مِنْ مشهدِ الغُلامِ رَأيُ الشِّيخِ، يا فَتاةُ خيرٌ لك فابتغي الحيا
(فرائد اللآل ١ / ٢٥١)

كما قال شاعر آخر:

إنَّ الأمورَ إذا الأحداث دَبَّرَها دونَ الشّيوخِ تَرى في بعضِها خَلَلا
(أمثال وحكم ١ / ٥٠)

وقريب من هذا قول المتنبي:

الرَّأيُ قَبْلَ شُجاعَةِ الشُّجْعانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثاني
(ديوان المتنبي ٤ / ٣٠٧)

لا ريب أنّ الرأي مقدّم على الشّجاعة لأصالة منفعته، وإنّما خصّ الرأي بالشيخ والجَلَد بالغلام، لأنّ الشيخ كثير التجربة، فيبلّغ من العدوّ برأيه ما لا يبلغ بشجاعته الغلام الحدث غير المجرّب.[١٣]

٢١ ـ ربَّ ساعٍ فيما يضرّه. (نهج البلاغة ٤٠٢ / ك ٣١)
من أحسن ما قيل في هذا المعنى قول ابن هرمة:

وكَمْ مِنْ طالِبٍ يسعىٰ لِشَيءٍ وَفيهِ هَلاكُهُ لو كَانَ يَدْرِي[١٤]
(البيان والتبيين ٣ / ١٥٤)

٢٢ ـ ربَّ قولٍ أنفذُ مِنْ صَوْلٍ. (نهج البلاغة ٥٤٥ / ح ٣٩٤)

اقتبس الطرابلسي من هذه الكلمة فقال:

قُلْ مـا تَـراهُ ربَّ قَـوْلٍ أُثِّـرَا أَشَدّ مِنْ صَـوْلٍ يُـرِيْكَ أَثَـرَا

(فـرائـد اللآل ١ / ٢٤٢)

كما قال الأخطل:

حَتّى أصَرّوا وَهُمْ مِنّي عَلَى مَضَضٍ والقولُ ينفذُ ما لا تنفذُ الابـر [١٥]

(موسوعة أمثال العرب ٦ / ١٠٢)

٢٣ ـ ربّما كان الدواء داء، والداء دواء. (نهج البلاغة ٤٠٢ / ك ٣١)

مثل هذا قول أبي الطيّب المتنبي:

قَدْ استشفيتُ مِـنْ داءٍ بِـداءِ وأقتلُ ما أَعَلَّكَ مَـا شَـفاكـا

(ديـوان المـتنبي ٣ / ١٢٩)

ومن ذلك أيضاً معنى قوله أو قريب منه:

لَعَلَّ عَـتْبَكَ محـمودٌ عـواقـبُهُ فَرُبَّمَا صَحَّتِ الأجسامُ بالعللِ

(نفس المصدر ٣ / ٢١٠)

كما قال أبو نؤاس:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغـراءُ وَدَاوِنِي بـالَّتي كـانت هـيَ الدَّاءُ

(ديـوان أبـي نـؤاس ٦)

٢٤ ـ ربَّ مَلُومٍ لا ذَنْبَ لَهُ. (نهج البلاغة ٣٨٨ رك ٢٨)

مثلُ هذا الكلام قول الشاعر:

فـلا تَـلُمِ المـرءَ في شأنِـهِ فَـرُبَّ مـلومٍ وَلَمْ يـذْنُبِ

(المسـتقصى ٢ / ٩٩)

كما اقتبس الطرابلسي منه فقال:

رُبَّ مـلومٍ مَـا لَـهُ ذَنْبٌ يُـرىٰ فلا تَلُمْ شَخْصاً علىٰ ما قَدْ جَرَى

(فـرائـد اللآل ١ / ٢٤٧)

٢٥ ـ ردّوا الحجر من حيث جاء،[١٦] فإنّ الشرّ لا يدفعه إلّا الشرّ. (نهج البلاغة ٥٣٠ / ح ٣١٤)

أخذ الطرابلسي هذا الكلام فقال:

مِنْ حَيْثُ ما جـاءَكَ رُدِّ الحَـجَرا لا تَقْبَلِ الضَّيْمَ تكُنْ سامي الذَّرىٰ

(فـرائـد اللآل ١ / ٢٥٩)

٢٦ ـ الرفيق قبل الطريق. (نهج البلاغة ٤٠٥ / ك ٣١)

من مستحسن ما قيل في هذا المعنى قول الطرابلسي:

قبلَ الطّريقِ حَـصِّلِ الرَّفـيقا فَـرُبَّما تَـلْقَى بهـا مَـضِيْقا

(فرائـد اللآل ١ / ٢٥٧)

٢٧ ـ زهدك في راغب فيك نقصان حظّ، ورغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس. (نهج البلاغة ٥٥٥ / ح ٤٥١)

مما يناسب هذا الكلام قول العباس بن الأحنف في نسيبه:

مَا زَلْتُ أَزْهَدُ في مَـوَدَّةِ راغِبٍ حَتَّى ابـتُليتُ بِـرَغْبَةٍ في زاهِـدِ

هٰذَا هُوَ الدَّاءُ الّذي ضَاقَتْ بِـهِ حِيَلُ الطّبِ وَطَالَ بَأسُ الْعائِدِ

(شرح نهج البلاغة ٢٠ / ١٠١)

٢٨ ـ السعيد من وعظ بغيره. (نهج البلاغة ١١٧ / ط ٨٦)

من الشعر القديم الجيد في هذا المعنى قول الحارث بن الكلدة:

إنَّ السعيدَ لهُ في غـيرِهِ عـظةٌ وفي الحوادثِ تحكيمٌ ومـعتبرُ

(جمهورة الأمـثال ١ / ٥٣١)

كما أخذ الطرابلسي هذا الكلام فقال:

فَهَلْ يُوعَظُ مَنْ يكونُ فَظْ إنَّ السعيدَ مَنْ بغيرِهِ إتَّعَظْ
(فرائد اللآل ١ / ٢٨٩)

٢٩ـ شقشقة هدرت ثمّ قرّت. (نهج البلاغة ٥٠ / ط ٣)
قد اقتبس الطرابلسي من هذا المثل قائلاً:

شقشقةٌ قَدْ هَدَرَتْ وَقَرَّتْ مِنِّيَ لَمَّا حَاجَتِي اسْتَقَرَّتْ
(فرائد اللآل ١ / ٣١٥)

٣٠ـ الصبر مفتاح الفرج. (شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٣٠٧)
من الشعر الحكمي في هذا الباب قول الشاعر:

بنىٰ اللهُ للأخيارِ بيتاً سماؤهُ همومٌ وأحزانٌ وحيطانُهُ الضُرُّ
وَأَدْخَلَهُمْ فيهِ وَأَغْلَقَ بابَهُ وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بابِكُمُ الصَّبْرُ
(جواهر الأدب ٢ / ٤٧٨)

كما تأثر الطرابلسي بهذه الكلمة فقال:

والصّبرُ في ما قيلَ مفتاحُ الفرجْ يا فوزَ مَنْ إليهِ في السَّعْي دَرَجْ
(فرائد اللآل ١ / ٣٥٢)

٣١ـ ضحّ رويداً. (نهج البلاغة ٤١٤ / ك ٤١)
اقتبس الطرابلسي من هذا المثل فقال:

ضِحّ رُوَيْداً وَتَأَنَّ فالْعَجَلْ يُجيءُ في بعضِ الأمورِ بالزَّلَلْ
(فرائد اللآل ١ / ٣٥٥)

كما قال زيد الخيل:

فلو أَنَّ نصراً أصلحتْ ذاتَ بَيْنَنَا لَضَحَّتْ رُويداً عن مطالِبِها عَمْرُو[١٧]
(مجمع الأمثال ١ / ٤١٩)

٣٢ـ العالم من عرف قدره. (نهج البلاغة ١٤٩ / ط ١٠٣)

... هو في معنى هذا المثل[1] من الشعر قول المتنبي:

وَمَنْ جَهِلَتْ قَدْرَهُ نَفْسُهُ ... رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لا يَرَى

(ديوان المتنبي ١ / ١٦٨)

... عجبت لبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إياه طلب، فيعيش في دنياه عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. (نهج البلاغة ٤٩١ / ح ١٣٦)

من هذا قول أبي الطيب المتنبي:

وَمَنْ يَنْفِقُ السَّاعاتِ في جمعِ مالِهِ ... مَخافَةَ فقرٍ فالَّذي فعلَ الفقر

(ديوان المتنبي ٢ / ٢٥٥)

كما قيل في هذا المعنى أيضاً:

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ ... وَأَخَّرْتَ إنْفَاقِ مَا تَجْمَعُ

فَصِرْتَ الفَقِيرَ وَأَنتَ الغَنِيّ ... فَمَا كَانَ يَنْفَعُ مَا تَصْنَعُ

(نفس المصدر)

٣٤ ـ العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال؛ والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق. (نهج البلاغة ٤٩٦ / ح ١٤٧)

من أحسن ما قاله الطغرائي في هذا المعنى:

مَنْ قَاسَ بالعلمِ الثراءَ فإنَّهُ ... في حُكْمِهِ أَعْمَىٰ البَصِيْرَةِ كَاذِبُ

الْعِلْمُ تَخْدِمُهُ بِنَفْسِكَ دائِماً ... والْمَالُ يَخْدِمُ عَنْكَ فيهِ نَائِبُ

والْمَالُ يُسْلَبُ أو يبيد لِحَادِثٍ ... والعلمُ لا يخشىٰ عليهِ السَّالِبُ

والعلمُ نقشٌ في فؤادِكَ رَاسِخٌ ... والْمَالُ ظِلٌّ عَنْ فَنائِكَ ذَاهِبُ

هٰذا عَلَىٰ الإنْفَاقِ يَغْزِرُ فَيْضَهُ ... أَبَداً وذَلكَ حِيْنَ تنفقُ نَاضِبُ

(جواهر الأدب ٢ / ٤٤٩)

٣٥ ـ عِنْدَ تَناهي الشِّدَّةُ تكونُ الفرجةُ، وعندَ تضايقُ حَلَق البلاءِ يكونُ الرَّخاءُ. (نهج

البلاغة ٥٣٦ / ح ٣٥١)

من جيد ما قيل في هذا المعنى قول بعضهم:

إذَا تَضَايَقَ أَمْرٌ فَانْتَظِرْ فَـرَجَاً ... فَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْنَاهُ مِنَ الْفَرَجِ

(البيان والتبيين ٣ / ٢٦)

كما قال الشاعر:

إذا بـلغَ الحـوادثُ مـنتهاهَا ... فَـرَجٌ بُـعيدها الفـرجُ المُـطلّا

فكـم كـربٌ تـولّىٰ إذ تَـوَالَّىٰ ... وكَمْ خطبٌ تجلّىٰ حـينَ جَـلَّىٰ

(شرح نهج البلاغة ١٩ / ٢٦٧)

٣٦ـ عند الصباح يحمد القوم السَّرَى. (نهج البلاغة ٢٢٩ / ط ١٦٠)

هذا مثل يضرب لمحتمل المشقة العاجلة رجاء الراحة الآجلة، كما قاله خالد بن وليد:

عِنْدَ الصَّبَاحِ يحمدُ القومُ السَّرَىٰ ... وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غيابَاتُ الكَـرَىٰ

(مجمع الأمثال ٢ / ٣)

ومثل هذا قول الجميح:

قـلتُ أُعـزِّي صَـاحِبِي أَلا بَـلَىٰ ... عِنْدَ الصَّبَاحِ يحمدُ القومُ السَّرىٰ[١٩]

(جمهرة الأمثال ٢ / ٤٢)

وأخذ الطرابلسي هذا المثل فقال:

مِنْ وَجْهِ عمروٍ غَوْث مَنْ لَهُ سَرَىٰ ... عندَ الصَّباحِ يحمدُ القـومُ السَّرىٰ

(فـرائـد اللآل ٢ / ٢)

٣٧ـ الغيبة جهد العاجز. (نهج البلاغة ٥٥٦ / ح ٤٦١)

قال المتنبي في هذا المعنى:

وأكبرُ نـفسي عـن جـزاءٍ بـغيبةٍ ... وكلُّ اغتيابٍ جهدُ مَنْ مَا لَهُ جَهْدُ

(ديوان المتنبي ٢ / ٩٥)

٣٨ ـ فاعل الخير خير منه، وفاعل الشرّ شرّ منه.[٢٠] (نهج البلاغة ٤٧٤ / ح ٣٢)

أخذ ابن أبي الحديد هذا اللفظ والمعنى فقال:

خيرُ البضائعِ للإنسانِ مَكْرَمَةٌ تُنْمِيَ وتَزْكُو إذَا بَارَتْ بَضَائِعُهُ
فالخيرُ خيرٌ وخيرٌ مِنْهُ فاعِلُهُ والشرُّ شرٌّ وشرٌّ مِنْهُ صَانِعُهُ
(شرح نهج البلاغة ١٨ / ١٤٩)

كما قال عبيد بن الأبرص:

الخيرُ يبقى وإن طالَ الزّمانُ بـه والشرُّ أخبث ما أوعيتَ من زَادِ
(العقد الفريد ٣ / ٥٢)

ومثل هذا قول الطرابلسي:

وفاعلُ الخيرِ غَدَا مِنْهُ يُرىٰ خيراً كذا الشرُّ فكُنْ مَعْتَبِرَا
(فرائد اللآل ١ / ٤٩)

٣٩ ـ فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها. (نهج البلاغة ٤٧٩ / ح ٦٦)

قد قيل في هذا المعنى:

وللموتِ خيرٌ مِنْ زيارةِ باخِلٍ يُلاحِظُ أَطْرَافَ الأكيلِ عَلَىٰ عَمْدِ
(العقد الفريد ٢ / ٢٧٣ و ٦ / ١٩٣)

٤٠ ـ قد أضاء الصبح لذي عينين.[٢١] (نهج البلاغة ٥٠١ / ح ١٦٩)

هذا الكلام جارٍ مجرى المثل ويضرب للأمر ينكشف ويظهر كلّ الظهور. قال أبو الطيب المتنبي في هذا المعنى:

وَهَبْنِي قُلْتُ: هٰذا الصُّبْحُ لَيْلٌ أَيَعْمَىٰ العالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ
(ديوان المتنبي ١ / ١٣٨)

كما قال ابن هاني:

فاستيقظوا من رقدةٍ وتنبّهوا ما بالصباحِ عَنِ العيونِ خَفَاءُ
(شرح نهج البلاغة ١٨ / ٣٩٥)

ولقد اقتبس الطرابلسي من هذه الكلمة فقال:

مِنْ جِيْدِ هَذَا الرَّيمِ دُون مَـيْنِ قَدْ بَيَّنَ الصُّـبْحُ لِـذِي عـينين

(فـرائـد اللآل ٢ / ٨٠)

٤١ ـ قرنت الهيبة بالخيبة.[٢٢] (نهج البلاغة ٤٧١ / ح ٢١)

ومثل هذا قول الشاعر:

لا تكـــونَنَّ للأمـــورِ هـبوباً فـإلىٰ خـيبةٍ يـصيرُ الهـبوبُ

(جـمهرة الأمـثال ١ / ٤٨٨)

كما اقتبس الطرابلسي منه قائلاً:

قَدْ قَرَنَ الحِـرْمَانُ بِـالْحَيَا كَـمَا قِـرَان خَـيْبَة بِهَـيْبَةٍ نَمَـا

(فـرائـد اللآل ٢ / ٨٦)

ومن ذلك أيضاً قوله:

لا تَهِـبَنْ في طَـلَبٍ فَـالْهَيْبَة فِيمَا يُقَالُ قَـبْلَ أَصْـلِ الْخَـيْبَةِ

(نفس المصدر ٢ / ٣٥٣)

كانت العرب إذا أوفدت وافداً قالت له: إيّاك والهيبة، فإنّها خيبة؛ ولا تبت عند ذنب الأمر وبت عند رأسه.[٢٣]

٤٢ ـ القلب مصحف البصر. (نهج البلاغة ٥٤٨ / ح ٤٠٩)

مثل هذا قول الشاعر:

تُخَبِّرُني الْعَيْنَانِ مَا الْـقَلْبُ كَـاتِمٌ وَمَا جَنَّ بالْبَغْضَاءِ والنَّظَرِ الشَّزْرِ

(شرح نـهج البـلاغة ٢٠ / ٤٦)

ومن جيّد ما قيل في هذا المعنى قول بعضهم:

إنَّ الْعُيونَ لتـبدي في تـقلّبها مَا في الضّمائرِ من ودٍّ وَمِنْ حَنَقِ

(نفس المصدر)

٤٣ ـ قلة العيال أحد اليسارين. (نهج البلاغة ٤٩٥ / ح ١٤١)

أخذ الطرابلسي هذا المعنى فقال:

وقـلّةُ العـيالِ يـا هَـذا أَحَـدْ يساري المَرْء فَحَصِّلْ مَا وَرَدْ.

(فـرائـد اللآل ٢ / ٩٩)

٤٤ ـ قلوب الرجال وحشية، فمن تألّفها أقبلت عليه. (نهج البلاغة ٤٧٧ / ح ٥٠)

مثل هذا قول الشاعر:

وإنّي لَوَحْشِيٌّ إِذَا مَا زَجَرْتَنِي وإِنّي إِذَا أَلَّـــفْتَنِي لَأَلُـــوفُ

(شرح نهج البلاغة ١٨ / ١٨٠)

٤٥ ـ قيمةُ كلّ امرئ ما يحسنه.[٢٤] (نهج البلاغة ٤٨٢ / ح ٨١)

قد قيل في هذا المعنى:

لا يكُونُ الْفَصِيْحُ مِثْلَ الْـعَيِيِّ لا، وَلا ذُو الذَّكاءِ مِثْلَ الْـغَبِيِّ

قِيْمَةُ الْمَرْءِ قَدْرُ ما يَحْسِنُ الْمَـرْ ءُ قَـضَاءٌ مِـنْ الإمَـامِ عَـلِيِّ

(معجم الأدباء ١ / ٦٧ / الفصل الأوّل)

كما أخذ ابن طباطبا العلوي هذا اللفظ والمعنى فقال:

يَا لائِمِي دَعْـنِي أُغَـالِ بِـقِيْمَتِي فَقِيْمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا كَانَ يُحْسِنُه

(أمـــثال وحكـــم ٢ / ١١٧٠)

ومن هذا الباب أيضاً قوله عليه السّلام:

وقيمةُ المرءِ مَا قَـدْ كَـانَ يُحْسِـنُهُ والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ[٢٥]

(ديـــوان الإمـــام عـــلي ٢٥)

٤٦ ـ كما تدين تدان. (نهج البلاغة ٢١٤ / ط ١٥٣

اقتبس الطرابلسي من هذا المثل فقال:

كَـــمَا تُـدِيْنُ يَـا فَـتَىٰ تُـدَانُ فَـــلْيَكُ مِـنْكَ أَبَـداً إِحْسَـانُ

(فرائـد اللآل ٢ / ١٢٢)

كما قال يزيد بن الصعق الكلابي لملك من ملوك غسّان:

يَا أَيُّها الملكُ المـقيتُ أَمَـا تَـرَىٰ لَـيْلاً وَصُـبْحاً كَـيْفَ يَخْـتَلِفَان
هَلْ تستطيعُ الشمسُ أن تؤتىٰ بها ليـلاً وَهَـلْ لَكَ بـالمليكِ يَـدَان
فَاعْلَمْ وَأَيـقِنْ أنَّ مُـلْكَكَ زَائِـلٌ وَاعْـلَمْ بأنَّ كَـمَا تُـدِيْنُ تُـدَان

(جمهرة الأمثال ٢ / ١٦٨)

٤٧ ـ كم من أكلة منعت أكلات.[٢٦] (نهج البلاغة ٥٠١ / ح ١٧١)

ما أحسن ما قاله ابن هرمة في هذا المعنى:

وَكَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَـنَعَتْ أَخَـاهَا بِلَذَّةِ سَاعِةٍ أَكَـلاتِ دَهْـرِ[٢٧]

(البيان والتبيين ٣ / ١٥٤)

كما اقتبس الطرابلسي منه فقال:

وَرُبَّ أكـلةٍ لأكـلاتٍ تُـرىٰ مَـانعةً فـاحفظْ لمـا قَـدْ أُثـرا

(فرائد اللآل ١ / ٢٤٤)

ومثل هذا قول ابن العلّاف:

كَمْ أَكلةٍ خَـالَطَتْ حَشَـا شَرِّهِ فَأَخْرَجَتْ رُوْحَهُ مِنَ الجَسَدِ[٢٨]

(جمهرة الأمثال ١ / ٤٩٢)

وقد قيل في هذا المعنى:

كَمْ أكلةٍ عَرَّضَتْ لِلْهكِ صَاحِبُها كحبّةِ الفُخِّ رُوحه مِـنَ الجسـدِ

(نفس المصدر)

وأخذ هذا المعنى يلفظه الحريري فقال في المقامات: «رُبَّ أكلةٍ هَاضَتِ الآكلَ، وَمَنَعَتْهُ مَآكِلَ»[٢٩].

٤٨ ـ كَنَاقِلِ التَّـمْرِ إلىٰ هَجَرَ.[٣٠] (نهج البلاغة ٣٨٥ / ك ٢٨)

أخذ الطرابلسي هذا اللفظ والمعنى فقال:

إنّي بِقَصْدِي مِصْرَ في نَظْمِ الدُّرَرْ مُسْتَبْضِعٌ تَمْراً إلىٰ أَرْضِ هَجَرْ
(فرائد اللآل ٢ / ١١٩)

وقريب من هذا قول الشاعر:

أهدي لهُ طرفَ الكلامِ لها يُهدىٰ لوالي البصرةِ التمرُ
(شرح نهج البلاغة ١٥ / ١٨٨)

٤٩ ـ لا تسخط الله برضى أحد من خلقه. (نهج البلاغة ٣٨٤ / ك ٢٧)

قال أبو الطيب المتنبي مشيراً إلى هذا الكلام:

وَبِمُهْجَتي يَا عَاذِلِي الْمَلِكُ الّذي أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ في إرْضَائِهِ
(ديوان المتنبي ١ / ١٣٦)

٥٠ ـ لا رَأْيَ لِمَنْ لا يُطَاع. (نهج البلاغة ٧١ / ط ٢٧)

قد اقتبس الطرابلسي من هذه الكلمة فقال:

مَنْ لا يُطَاعُ مَالَهُ رَأْيٌ يُرَىٰ كَذَا عليٌّ قَالَ في ما أُثِرَا
(فرائد اللآل ٢ / ٢٠٤)

٥١ ـ لا جاء يُرَدُّ ولا ماضٍ يُرْتَدُّ. (نهج البلاغة ١٧٠ / ط ١١٤)

من أجود ما قيل في هذا المعنى قول المتنبي:

وَمَا ماضِي الشّبابِ بِمُسْتَرَدٍّ وَلا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادِ
(ديوان المتنبي ٢ / ٧٧)

وقد أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال:

فَلاَ أَنا رَاجِعٌ مَا قَدْ مَضَىٰ لي وَلا أَنا دَافِعٌ مَا سَوْفَ يَأتي
(شرح نهج البلاغة ٧ / ٢٥٦)

٥٢ ـ لا كنز أغنى من القناعة. (نهج البلاغة ٥٤٠ / ح ٣٧١)

من لطيف ما قيل في هذا المعنى قول الشاعر:

وَأَرَىٰ القناعةَ للفتىٰ كنزاً لَهُ والبرُّ أفضلُ مَا بِه يَتَمَسَّكُ

(جواهر الأدب ٢ / ٤٨٦)

٥٣ ـ لا يزهدنّك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر ممّا أضاع الكافر، والله يحبّ المحسنين. (نهج البلاغة ٥٠٥ / ح ٢٠٤)

قد أخذ ابن أبي الحديد هذا المعنى فقال من جملة قصيدة له حكمية:

لَا تَسْدِيَنَّ إلىٰ ذِي اللؤمِ مَكْرَمَةً فإنَّهُ سِبَخٌ لَا ينبتُ الشَّجَرَا

فَإنْ زَرَعتَ فَمَحْفُوظٌ بِمَضْيَعَةٍ وَأَكْلُ زَرْعِكَ شُكْرُ الغيرِ إنْ كَفَرَا

(شرح نهج البلاغة ١٩ / ٢٤)

٥٤ ـ لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.[٣١] (نهج البلاغة ٤٧٦ / ح ٤٠)

اقتبس ابن بسّام من هذا الحديث فقال:

لسانُ مَنْ يَعْقَلُ في قَلْبِهِ وَقَلْبُ مَنْ يَجْهَلُ في فِيْهِ

(موسوعة أمثال العرب ٦ / ٢٢٣)

قال الرضي رحمه الله تعالى عند شرح قوله عليه السّلام: وهذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أنّ العاقل لا يطلق لسانه إلّا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة؛ والأحمق تسبق زحافات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضة رأيه. فكأنّ لسان العاقل تابع لقلبه، وكأنّ قلب الأحمق تابع للسانه.[٣٢]

٥٥ ـ لكلّ امرئ في ماله شريكان: الوارث والحوادث.[٣٣] (نهج البلاغة ٥٣٤ / ح ٣٣٥)

أخذ الرضيّ هذا اللفظ والمعنى فقال:

خُذْ مِنْ تُرَاثِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا شُركاؤُكَ الأَيّامُ والورّاثُ

لَمْ يَقْضِ حَقُّ المالِ إلّا مَعْشَرٌ نَظَرُوا الزَّمانَ يعيثُ فيه، فَعَاثُوا

(شرح نهج البلاغة ١٩ / ٢٥١)

كما قال الطرابلسي:

مَالُ الشَّحِيْحِ يَا خليلي بِشَّرٍ ... بِوَارِثٍ أَوْ حَادِثٍ مُسْتَنْكَرِ

(فرائد اللآل ١ / ٩٨)

٥٦ ـ ما عدا مما بدا. (نهج ٧٤ / ط ٣١)

أخذ الطرابلسي هذا الكلام فقال:

وَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا يا هٰذي ... حَتَّىٰ تركتِ صُحبتي يَا هَاذِي

(فرائد اللآل ٢ / ٢٦٠)

٥٧ ـ ما لابن آدم والفخر: أوّله نطفة، وآخره جيفة، ولا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه. (نهج البلاغة ٥٥٥ / ح ٤٥٤)

من أحسن ما قيل في هذا اللفظ والمعنى قول بعضهم:

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ ... وَجِيْفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ

يَصْبَحُ مَا يَمْلُكُ تَقْدِيْمُ مَا ... يَرْجُو وَلَا تَأْخِيْرَ مَا يَحْذَرُ

(شرح نهج البلاغة ٢٠ / ١٥٠)

٥٨ ـ مثل الدنيا كمثل الحيّة ليّن مسّها، والسمّ الناقع في جوفها، يهوى إليها الغرّ الجاهل، ويحذرها ذو اللبّ العاقل.[٣٤] (نهج البلاغة ٤٨٩ / ح ١١٩)

قد أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال:

إنّما الدَّهْرُ أرقمٌ لَيِّنُ المَسِّ ... وَفي نَابِهِ السُّقَامُ المُقَامُ

(شرح نهج البلاغة ١٨ / ٢٨٤)

٥٩ ـ تكلّموا تُعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه.[٣٥] (نهج البلاغة ٥٤٥ / ح ٣٩٢)

قال المتنبي في هذا المعنى:

أُصَادِقُ نَفْسَ المَرْءِ من قبلِ جسمِهِ ... وأعرفُها في فعلِهِ والتكلُّمِ

(ديوان المتنبي ٤ / ٢٦٥)

كما قال الأعورُ الشِنِّيُّ:

وكأين ترىٰ من صامتٍ لكَ معجبٌ زيادتُهُ أو نقصُهُ في التكلّمِ

(البيان والتبيين ١ / ١١٨)

وممّا يناسب كلام الإمام علي (ع) قول بعضهم:

وفي الصَّمْتِ سِتْرٌ للغبيّ وإنّما صحيفةُ لُبِّ المرءِ أن يتكلّما

(متنبي وسعدي ١٧٠)

وكان يحيى بن خالد يقول: ما جلس إليّ أحد قطّ إلّا هبته حتّى يتكلّم، فإذا تكلّم إمّا أن تزداد تلك الهيبة أو تنقص.[٣٦]

٦٠ـ من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ.[٣٧] (نهج البلاغة ٥٠١ / ح ١٧٣)

قيل في هذا المعنى:

وخيرُ الرأي مَا استقبلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بأن تتّبعَهُ اتّبَاعَا

(شرح نهج البلاغة ١٨ / ٤٠٤)

٦١ـ من جرى في عنان أمله عثر بأجله.[٣٨] (نهج البلاغة ٤٧١ / ح ١٩)

من جيّد ما قيل في هذا المعنى قول الشاعر:

مَنْ تَمَنّىٰ المُنَىٰ فأغرقَ فيها مَاتَ مِنْ قبل أَنْ يَنَالَ مُنَاهُ

(شرح نهج البلاغة ١٨ / ١٢٧)

٦٢ـ من سلّ سيف البغي قتل به. (نهج البلاغة ٥٣٦ / ح ٣٤٩)

أخذ الطرابلسي هذا اللفظ والمعنى فقال:

مَنْ سلَّ سيفَ البغي يوماً قتلا به فَدَعْ بغياً تَنَلْ كُلَّ عُلَا

(فرائد اللآل ٢ / ٢٨٧)

٦٣ـ من طلب شيئاً ناله أو بعضه. (نهج البلاغة ٥٤٤ / ح ٣٨٦)

قال الطرابلسي في هذا المعنى:

جِدّ تَنَلْ مَا رَمْتَهُ بمحمدةٍ يا صاحبي مَنْ رَامَ شيئاً وَجَدَه
(فرائد اللآل ٢ / ٢٧٩)

٦٤ ـ من كرمت عليه نفسه، هانت عليه شهواته. (نهج البلاغة ٥٥٥ / ح ٤٤٩)
والجيّد النادر في هذا قول الشاعر:

فإنَّكَ إنْ أعطيتَ بطنَكَ سؤلَه وفرجُكَ نالا منتهىٰ الذَّمِّ أجمعا
(شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٩٩)

٦٥ ـ من ملك استأثر. (نهج البلاغة ٥٠١ / ح ١٧٣)
قد أقبس الطرابلسي من هذا الكلام فقال:

مَنْ مَلَكَ اسْتَأثَرَ آثِرْ أَبَدا أَهْلَكَ تَلْقَ في الأنامِ رُشْدَا
(فرائد اللآل ٢ / ٢٨٠)

٦٦ ـ من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره.[٣٩] (نهج البلاغة ٥٣٦ / ح ٣٤٩)
قيل في هذا المعنى:

أرىٰ كُلَّ إنسانٍ يرىٰ عيبَ غيرِهِ وَيَعْمَىٰ عَنِ العيبِ الّذي هُوَ فيهِ
وَمَا خَيْرُ مَنْ تخفىٰ عليهِ عيوبُهُ ويبدُو لهُ العيبُ الّذي بأخيهِ
(شرح نهج البلاغة ١٨ / ١٠٠)

٦٧ ـ المنيّة ولا الدنيّة.[٤٠] (نهج البلاغة ٥٤٦ / ح ٣٩٦)
قد أخذ الطرابلسي هذا الكلام فقال:

دون سلوّه أرىٰ المنيّهْ مختارة وأكره الدنيّهْ
(فرائد اللآل ٢ / ٢٦٥)

٦٨ ـ الناس أبناء الدنيا، ولا يلام الرجل على حبّ أمّه.[٤١] (نهج البلاغة ٥٢٩ / ح ٣٠٣)
أخذ محمد بن وهب الحميري هذه الكلمة فقال:

وَنَحْنُ بَنُو الدُّنيا خُلِقْنَا لِغَيْرِهَا وَمَا كنتُ مِنْهُ فهو شيءٌ مُحَبَّبُ[٤٢]
(شرح نهج البلاغة ١٨ / ٣٢٧)

٦٩ ـ النّاس أعداء ما جهلوا.[٤٣] (نهج البلاغة ٥٠١ / ح ١٧٢ و ٥٥٣ / ح ٤٣٨)

هذه من كلماته الشريفة التي لا نظير لها كما قال الشاعر متأثراً بها:

جَهَلْتُ أَمْرَاً فَأَبْدَيْتُ النكِيْرَ لَهُ والجاهِلُونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ

(شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٨٦)

ومن الشعر المنسوب إليه عليه السّلام في هذا المعنى:

وقيمةُ المرءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ

(ديوان الإمام عليّ ٢٥)

٧٠ ـ والله لا أكون كالضبع: تنام على طول اللدم، حتّى يصل إليها طالبها، ويختلها راصدها.[٤٤] (نهج البلاغة ٥٣ / ط ٦)

أخذ الطرابلسي هذا الكلام فقال:

مع أنّني لست كمثل الضَّبُعِ حَسْبَ الَّذي حَكُوهُ عَنْهَا فَاسْمَعِ

تخرجُ وهي تسمع اللدمَ لِمَنْ يَصِيْدُهَا حَتّى تُصَادُ فَاعْلَمَنْ

(فرائد اللآل ٢ / ٢٠٥)

من الواضح أنّ للنهج تأثير كبير في الأدب العربي، وما أشرنا إليه في بحثنا هذا قليل من كثير، لكنّنا اخترنا نماذج شعرية من بين مئات بيت متأثرة بهذا الكتاب الشريف على قدر الوسع والإمكان؛ تلك الأبيات المنتشرة في الدواوين والمصادر التاريخية والمراجع الروائية والموسوعات الأدبية.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المصادر والهوامش:

١. ينابيع المودّة، ج ٢، ص ٦٥.
٢. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٢٩.
٢. فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٢، ص ٢٩٨.
٤. نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠١.
٥. مجلة العلوم الإنسانية، الرقم ٢، ص ٩ ـ ١٠.
٦. شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ١٥٦.
٧. جمهرة الأمثال، ج ١، ص ١٨٤.
٨. لمزيد من الإطّلاع يمكن الرجوع إلى: شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٤٠٦.
٩. ويلاحظ أنّ «البدر» في رواية ابن أبي الحديد بدل «الشمس». أنظر: شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٢٨٢.
١٠. قال الإمام علي (ع) هذه الكلمة على قبر رسول الله (ص) ساعة دفنه.
١١. مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٧٢.
١٢. وفي رواية: «من مشهد الغلام». أنظر: التمثيل والمحاضرة، ص ٢٩ ـ ٣٠. وقد جاء في بعض الروايات لفظ «روى» بدل «رأى». راجع: جواهر الأدب، ج ٢، ص ١١٩.
١٣. شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٢٣٧.
١٤. مع اختلاف يسير: جمهرة الأمثال، ج ١، ص ٤٩٢؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٤، ص ٧٥.
١٥. مع اختلاف يسير: البيان والتبيين، ج ١، ص ١٠٩؛ الاعجاز والايجاز، ص ١٥٠.
١٦. مع اختلاف يسير: تحف العقول، ص ٨٦، ٩٨؛ ينابيع المودة، ج ٣، ص ١٩٧؛ مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣٠٦.
١٧. مع اختلاف يسير: المستقصى، ج ٢، ص ١٤٥.
١٨. قال ابن أبي الحديد أنّ قوله عليه السّلام «العالم من عرف قدره» من الأمثال المشهورة وقد قال الناس بعده في ذلك فأكثروا، ثمّ ذكر الشواهد على ذلك. أنظر: شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ١٠٨.
١٩. مع اختلاف بيّن في المصراع الأوّل: المستقصى، ج ٢، ص ١٦٨.
٢٠. وقريب من هذه الكلمة مثل «إنّ خيراً من الخير فاعله، وإنّ من الشرّ فاعله». مجمع الأمثال، ج ١، ص ٥٨؛ العقد الفريد، ج ٣، ص ٥٢.
٢١. مع اختلاف يسير: جمهرة الأمثال، ج ٢، ص ١٢٦؛ المستقصى، ج ٢، ص ١٩٠.
٢٢. وقريب من هذه الكلمة مثل «الهيبة خيبة» و «الهيبة من الخيبة». جمهرة الأمثال، ج ١، ص ٤٨٨؛ مجمع

الأمثال، ج ٢، ص ٤٠٢.

٢٣. شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ١٣١.

٢٤. مع اختلاف يسير: الاعجاز والايجاز، ص ٢٧؛ معجم الأدباء، ج ١، ص ٦٦؛ جواهر الأدب، ج ٢، ص ١٢٠.

٢٥. مع اختلاف يسير: جواهر الأدب، ج ٢، ص ٤٥١. وقيل أيضاً أنّ هذا البيت منسوب إلى محمد بن الربيع الموصلي. أنظر: أسرار البلاغة، ص ٢٢٩.

٢٦. مع اختلاف يسير: جمهرة الأمثال، ج ٢، ص ٢٧١، ٤٩١؛ المستقصى، ج ٢، ص ٩٣؛ العقد الفريد، ج ٣، ص ٦٤.

٢٧. مع اختلاف يسير: المستقصى، ج ٢، ص ٩٤؛ موسوعة أمثال العرب، ج ٤، ص ٧٥.

٢٨. وبلفظ «خامرت» بدل «خالطت». شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٣٩٧.

٢٩. نفس المصدر والصفحة.

٣٠. وقريب من هذه الكلمة مثل «كمستبضع التمر إلى هجر». العقد الفريد، ج ٣، ص ٦٩؛ التمثيل والمحاضرة، ص ٢٦٨. وقد قيل أيضاً: «كمستبضع تمراً إلى أهل خيبر»، كما قال حسّان:

فإنّا ومن أهدى القصائد نحونا ... كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا

(جمهرة الأمثال ٢ / ١٥٣)

رُوى هذا البيت مع اختلاف يسير. راجع في ذلك: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ١٥٣؛ المستقصى، ج ٢، ص ٢٣٣. وقد جاء هذا المثل بصور أخرى، يمكن الرجوع إلى: موسوعة أمثال العرب، ج ٤، ص ٥٧٢، ٦٣٧.

٣١. مع اختلاف يسير: نهج البلاغة، ص ٢٥٣.

٣٢. نهج البلاغة، ص ٤٧٦. لمزيد من الإطلاع، يمكن الرجوع إلى ما نقل عن الحسن البصري في مجاني الأدب، ج ٢، ص ١١٣ ـ ١١٤.

٣٣. وقريب من هذا الحديث، قوله عليه السّلام: «بشّر مال البخيل بحادث أو وارث». الاعجاز والإيجاز، ص ٢٨؛ ينابيع المودّة، ج ٢، ص ١١٣. وقد جاء في رواية: «الشحيح» بدل «البخيل» مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٢٠.

٣٤. مع اختلاف يسير: التمثيل والمحاضرة، ص ٢٤٩. وقريب من هذا حديث منه عليه السّلام في كتاب له كتبه إلى سلمان الفارسي قبل أيام خلافته. أنظر: نهج البلاغة، ص ٤٥٨.

٣٥. وفي رواية: المرء مخبوء تحت لسانه. أنظر: نهج البلاغة، ص ٤٩٧. وبدون لفظ «مخبوء»: موسوعة أمثال العرب، ج ٥، ص ٣٩٤.

٣٦. شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٣٤٠.

٣٧. مع اختلاف يسير: تحف العقول، ص ٩٧؛ الاعجاز والايجاز، ص ٣٥.

٣٨. مع اختلاف يسير: نور الأبصار، ص ٩٢.

٣٩. وبلفظ «شُغل»: **تحف العقول**، ص ٩٣. ومع اختلاف ي بعض الألفاظ: **الاعجاز والايجاز**، ص ٣٣؛ **ينابيع المودة**، ج ٣، ص ١٩٥، ٢٠٠؛ **نهج البلاغة**، ص ٢٥٥.

٤٠. مع اختلاف يسير: **العقد الفريد**، ج ٣، ص ٣٩.

٤١. وقريب منه ما روى بهذه العبارة: قيل لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع) لِمَ حرص النّاس على الدّنيا؟ فقال: هم أبناؤها. **التمثيل والمحاضرة**، ص ٢٥.

٤٢. نسب هذا البيت للبختري مع اختلاف يسير في المصراع الأول. أنظر: **التمثيل والمحاضرة**، ص ٢٥٠.

٤٣. وقريب منه حديث له بهذه العبارة: «المرء عدوّ ما جهله». **نور الأبصار**، ص ٩١؛ **الاعجاز والايجاز**، ص ٢٧. ومع اختلاف يسير: **ينابيع المودة**، ج ٢، ص ١١٤.

٤٤. مع اختلاف في بعض الألفاظ: **مجمع الأمثال**، ج ٢، ص ٢٤٢؛ **جمهرة الأمثال**، ج ٢، ص ٤٠٤.

فهرس المراجع:

١ ـ ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة**، بتحقيق أبوالفضل إبراهيم، قم، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

٢ ـ ابن شعبة الحراني: **تحف العقول عن آل الرسول**، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، ط ٢، ١٤٠٤ هـ / ١٣٦٣ ش.

٣ ـ ابن عبدربه الأندلسي: **العقد الفريد**، حقّقه وعلّق حواشيه علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

٤ ـ أبو نواس، الحسن بن هانئ: **ديوان أبي نواس**، حقّقه وضبطه وشرحه أحمد عبدالمجيد الغزالي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

٥ ـ أبو هلال العسكري: **كتاب جمهرة الأمثال**، حقّقه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبوالفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، بيروت، دارالفكر ودار الجيل، ط ٢، ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٩ م.

٦ ـ الأمين، السّيّد محسن: **أعيان الشيعة**، حقّقه وأخرجه حسن الأمين، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط ٥، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٧ ـ الثعالبي، أبو منصور: **الاعجاز والايجاز**، بيروت، دار الرائد العربي، ط ٢، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٨ ـ الثعالبي، أبو منصور: **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، الرياض، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٩٨٣ م.

٩ ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٨ م.

١٠ ـ الجرجاني، عبدالقاهر: **أسرار البلاغة في علم البيان**، تصحيح محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

حسن زاده آملي: اسناد نهج البلاغة قبل الشريف الرضي، مجلة العلوم الإنسانية، السنة الثانية [العدد ١ ـ ٢]، طهران، ١٣٦٩ ش / ١٤١١ هـ.

١٢ ـ دهخدا، علي أكبر: أمثال وحكم، تهران، مؤسسة انتشارات اميركبير، ط ٧، ١٣٧٠ ش.

١٣ ـ ديوان الإمام علي، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت، دار ابن زيدون، بدون تاريخ.

١٤ ـ الزمخشري، جارالله محمود بن عمر: المستقصى في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٧ م.

١٥ ـ الشبلنجي: نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار (وبهامشه اسعاف الراغبين في سيرة المصطفى للشيخ محمد بن علي الصبّان)، بيروت، دارالفكر، بدون تاريخ.

١٦ ـ الشريف الرضي، أبوالحسن محمد: نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية صبحي الصالح، بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧.

١٧ ـ الطرابلسي الحنفي، إبراهيم بن السيّد علي الأحدب: فرائد اللآل في مجمع الأمثال، ١٣١٢ هـ.

١٨ ـ الفيروزآبادي، السيد مرتضى الحسيني: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٤، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م.

١٩ ـ القندوزي، سليمان بن إبراهيم: ينابيع المودة، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بدون تاريخ.

٢٠ ـ المتنبي، أبو الطيب أحمد: ديوان المتنبي، شرح عبدالرحمن البرقوقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م (تاريخ المقدمة).

٢١ ـ محفوظ، حسين علي: متنبي وسعيدي، تهران، چاپخانهٔ حيدري، ١٣١٧ هـ / ١٣٣٦ ش.

٢٢ ـ الميداني، أبوالفضل أحمد: مجمع الأمثال، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمد يحيى الدين عبدالحميد، دارالمعرفة، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م.

٢٣ ـ الهاشمي، السيّد أحمد: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مصر، مطبعة السعادة، ط ٢١، ١٣٤٨ هـ / ١٩٦٤ م.

٢٤ ـ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، بيروت، دارالفكر، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

٢٥ ـ اليسوعي، لويس شيخو: مجاني الأدب في حدائق العرب، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٢ م.

٢٦ ـ يعقوب، ميل بديع: موسوعة أمثال العرب، بيروت، دار الجيل، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.